قانون الكارما وأبعاده
وكيف يطبّق عملياً في حياة الانسان
(الحلقة الثانية)

إذا ما طرحنا السؤال على المتكلمين باسم الدين، او المحبّذين للآراء الدينية، مستفسرين: لماذا نتعرّض للمصائب والعذابات والامراض؟ نسمع إجابات عديدة، لكن جميعها متشابهة، وتصب في مغزى واحد، فحواه: الله يجرّب الانسان، ليختبر مدى صبره وتحمله وإيمانه به!

وإن استرسلنا في الموضوع وتسائلنا عن سبب تفاوت نوع الالم والعذاب من شخص الى آخر، نسمعهم يجيبون: الله هو الادرى باحوال البشر... او الله أعلم... او تلك هي الحكمة الالهية التي لا ندركها... الى ما هنالك من إجابات متشابهة تنطوي على المغزى نفسه، في ظاهرها وفي باطنها!!

اما رجال العلم، فهم يعالجون الموضوع من ناحية مختلفة، فيكشفون النقاب عمّا خفي على رجال الدين، وهو ان لكل نتيجة سبباً... لكنه سبب علمي مادي محض. إزاء موقفهم هذا نراهم، إما يتفادون الخوض في الامور الالهية، او يتجاهلونها، اوينقضونها... فيبدو موقفهم هذا وقوفاً على عتبة الدين، لا هم يدخلونه للبحث فيه، ولا يسمحون لمن يبحث بالدخول!

رجال العلم والطب، على تنوّع اختصاصاتهم، يؤكدون ان اسباب الامراض مادية عضوية بوجه عام... كما ان رجال الفكر يجدون ان للمصائب والاحداث مسبّبات ظاهرة... فهم يعتقدون ان لكل نبيجة سبباً. لكنه سبب ظاهري مادي، ملموس. اما عن السبب الخفي، فنراهم صامتين!

بعبارة اخرى، يملك الاطباء الاجابة عن السبب المادي، اوالسبب الظاهري لبعض الامراض والعوارض المرضية... لكنهم يفتقرون الى معرفة السبب الخفي.

على سبيل المثال، إذا ما طرحنا السؤال: لماذا يعاني ذلك الشخص من مرض ما منذ ولادته... فيما فرد آخر من عائلته لا يعرف المرض، إلا نادراً؟ يعزو الاطباء السبب الى قوة المناعة الجسدية، او الى عامل الوراثة، او الى امر صحي آخر... دون ان يتخطوا عتبة المظاهر ليتقصّوا السبب الخفي!

وإذا ما اتجهنا نحو مفهوم الفلسفة، نجدها اقرب قليلاً الى إدراك الاسباب الخفية، إذ هي تحاول تقريب وجهتيْ النظر المتباعدتين بين الدين والعلم ... فالفلسفة المنطقية قائمة اصلاً على مبدا السبب والنتيجة، وتعمل دائماً على تثبيته. لكن الفلسفة تعجز عن تفسير هذا المبدا عملياً، إن من جهة الامور الدينيّة، او القضايا العلميّة، او حتى الشؤون العملية في حياة الانسان... فتبقى الفلسفة من هذه الناحية مجرّد مسالة نظرية لا يمكن الغوص في اعماقها، ولا الابحار نحو آفاقها البعيدة !

وذا ما القينا نظرة واقعية شاملة على الدين والعلم والفلسفة، من خلال موضوعنا بالذات، اي مفهوم القضاء والقدر، او القانون الالهي، نجد وكان العلم يقف متشبّثاً بماديات الارض، لا يبصر سواها لأنه لا يستطيع الارتفاع عنها ... فيما الدين يرتفع فوق السحاب باحثاً عن المقر الالهي، دون ان يعلل اسباب ما يحدث على الارض، فيبقى متطلّعاً نحو السماء... اما الفلسفة، فنراها سابحة بين العلم والدين، بين الارض والسماء، تبصر ما يحدث على الارض، وتستشف ما يحصل في السماء.. لكنها لا تستطيع تاكيد او تطبيق شيئاً مما تراه... لانها لا تقف على الارض، ولا هي تطال السماء! فهي اشبه بمن يعاين الحقيقة عبر غشاء كثيف،فلا يتبيّن معالمها، ولا يستطيع لمسها او إدراكها!

بينما الايزوتيريك نجده يتخذ منحىً آخر يختلف عن كل ما ذُكر... إذ هو يثبّت قدميه على الارض، ليلّم اولاً بكل العلوم المادية الظاهرة، ثم يرتفع بهامته الى الاعلى فيستشف كل ما يسعى لإدراكه... علماً ان التطبيق العملي هو ما يميّز الايزوتيريك عن اي نهج آخر، لاسيما النهج الفلسفي!

إذا ما احلنا موضوع حديثنا على الايزوتيريك، اي موضوع القضاء والقدر، والحظ ، والمشيئة الاهية، إلخ... نجد يحاول تقريب وجهات النظر العلمية والدينية والفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلاً... من منطلق ان الانسان يحوي المادة والروح والعقل... ويستحيل على طلاب المعرفة والحقيقة التغاضي عن أحد هذه الابعاد، او الانكباب على دراسة بُعد واحد واهمال البُعدين الآخرين !

(يتبع في الحلقة المقبلة)